الثورات العربية: التغيير والاستمرارية
The Arab Revolutions: Change and Continuity

المؤلف: رمضان يلدرم، محمود الرنتيسي
Author: Ramazan Yıldırım , Mahmoud Alrantisi

الناشر: اسطنبول - سيتا 2021
Publisher : Istanbul - SETA 2021

مراجعة: أحمد محمود
Reviewed by: Ahmed Mahmoud

عدد الصفحات: 512
Pages: 512

صدر عن مركز سيتا للدراسات، وهو من أكبر مراكز البحوث في تركيا، كتاب الثورات العربية: التغيير والاستمرارية، وذلك بمناسبة الذكرى العاشرة للربيع العربي الذي انطلق عام 2011، وامتدّ إلى عدة دول عربية على شكل انفجار للغضب المتراكم منذ عقود لدى الشعوب العربية. وقد وُصِفت هذه الحالة بأنها ربيع عربي أو ثورات عربية، وعلى كل الأحوال فإنّ حركة الشارع عبّرت عن مطالب التغيير الاجتماعي الجذرية.

يتميز الكتاب بأنه يناقش من خلال إسهامات نخبة من الكتّاب الأكاديميين البارزين والسياسيين المخضرمين الشّهود على تفصيلات مرحلة الربيع العربي- تفاعلات هذه المرحلة، ويضع بين أيدي القرّاء قراءاتهم لها، بوصفها ظاهرة مهمّة جدًّا في سياق حضاري غير مسبوق.

يبدأ الكتاب برؤية عدد من المفكرين والسياسيين لظاهرة الثورات العربية، وممراتها الإجبارية، وما قامت به الثورة المضادة من دور لإحباط مسار الثورة، وما دخلت به أطراف الثورة من صراعات على التمثيل وصلت في بعضها إلى حدود الصراع المسلح.

تحتوي المشاركات التي أسهم فيها 20 باحثًا على توضيح خريطة المواقف المحلية والإقليمية والدولية، ووقوف جديد على تساؤلات الربيع العربي بعد 10 سنوات من حدوثه، مثل: لماذا حدثت الثورات؟ ولماذا أخفقت؟ وفيمَ أخفقت؟ وفي أيّ أمرٍ نجحت؟ وكيف جرى استهدافها؟ وما الدروس المستفادة؟ وهل هناك فرص أخرى للتغيير؟

وقد أكّد الكتاب أن الشباب هم روّاد هذه الحركة التغييرية التي لم يمكن للأنظمة وجميع الفاعلين التقليديين المعارضين لها- التنبؤ بها، مع أنه كان من الممكن فهم أسباب المطالب المعبَّر عنها في حركات التغيير التي شملت جميع الفئات ذات الميول الأيديولوجية والسياسية المختلفة.

ويتفق الكُتّاب المشاركون في الكتاب أنّ شعارات الحرية والعدالة والشرف والكرامة والخبز التي برزت في جميع التظاهرات- هي تعبيرات عن الأسباب

DOI:10.36360/1560-010-003-010

الحقيقية لحركات التغيير.

يتعامل الكتاب مع مرحلة الربيع العربي بوصفها مرحلة تحول كبيرة، ويصفها في أكثر من موضع بأنها بمثابة زلزال سياسي، ووفقًا للكتاب فقد كانت الثورات العربية في نهاية 2010 وبداية 2011 بمثابة زلزال سياسي هزّ المنطقة، ولا تزال آثاره الارتدادية محليًّا وإقليميًّا ودوليًّا في حالة تفاعل ديناميكي. ويصف بعض المتابعين ما حدث في 2011 في تونس ومصر وليبيا وسوريا واليمن بأنه الموجة الأولى لثورة الربيع العربي، وأن ما حدث بعد ذلك في 2018 و2019 في بلدان أخرى مثل لبنان والعراق والجزائر والسودان هو الموجة الثانية.

وفي كل الأحوال سواء أكان ما حدث زلزالًا أو موجة ثورية فإن هناك إجماعًا على أن حالة ثورات الربيع العربي شكّلت في بدايتها مطالب الشارع العربي، وأحدثت حالة من الأمل المفعم بالتغيير والحرية والكرامة والعدالة والمشاركة السياسية بعد عقود من القمع والفساد- لم تلبث أن اصطدمت بإخفاقات وإحباطات ومواجهة مع الاستبداد والفوضى والعنف ومحاولات اختطاف المسار.

وممّا تنبغي الإشارة إليه أن الكتاب يسلط الضوء على أزمة عاناها الثوار، وهي افتقاد المشروع السياسي، حيث جاء في مقدمة الكتاب: "شهدت مرحلة الثورات حالة مرتفعة من الاستقطاب مع افتقاد الثائرين في بعضها للمشروع السياسي الذي يتطلب الحد الأدنى من التوافق على مفاهيم (العقد الاجتماعي الجديد)، وقد استخدمت مداخل كثيرة لتعميق الاستقطاب، مثل المدخل الأيديولوجي، والمدخل الطائفي، والمدخل العرقي، والمدخل التنافسي، وهذا زاد من مدة الصراع وحالة الفوضى".

ومع ذلك يشير الكتاب إلى أن الثوار تفاوتوا فيما بينهم من زاوية إدراك أن مرحلة بداية الثورات كانت مرحلة انتقالية، وأن إدارة المراحل الانتقالية تحتاج إلى خبرة كبيرة وذكاء وحكمة خاصة؛ في ظل حالة الغموض الكبير، وغياب التصور المتكامل.

وهنا تبرز أهمية التوافق السياسي التي تحتّم البحث عن أشكال وأدوات غير تقليدية، ومن هنا يصحّ القول: إنّها حالة استثنائية تقتضي معرفة أهمية هذا الاستثناء، وكيفية إدارته.

مع أن بعض المنجزات قد تحققت إلا أنه بات في مخزون الوعي العربي اليوم أن الثورات لا تحقق كل أهدافها دفعة واحدة أو في وقت قصير، بل لا بدّ من أن تأخذ العملية وقتها الكافي، وبخاصة أنّ تراكم المنظومات السابقة قد استغرق عقودًا طويلة.

أظهرت الثورات العربية في الجغرافيا التي حدثت بها فجأة كلّ المشكلات التي جرت تغطيتها لعقود طويلة، ولم يكن بالإمكان حلّها دفعة واحدة. لقد كانت الأبعاد الاجتماعية والدينية والسياسية حاضرة في كل جوانب الثورات العربية، وظهر على سبيل المثال اجتهاد جديد ومجتهد جديد في ميادين الثورات في الشوارع العربية، بعيدًا عن النمط التقليدي في التعامل في الخروج على الحاكم، حيث كانت الكلمة للميدان، لا للمفتي أو عالم الدين.

يؤكد الكتاب أن الثورات العربية وقعت في ظروف غير مسبوقة، تتميز بدور متصاعد للإعلام والتكنولوجيا، وهذا جعلها تتخطى الحدود بشكل

أسرع، وجعل في الوقت نفسه تدخُّل القوى الخارجية فيها بسرعة وقوّة أيضًا.

وحول سلمية الثورات العربية، يظهر أنها انطلقت سلمية؛ تفضّل السلمية على العنف مع أن بعض الجهات نجحت في حرف المسار في بعض المناطق، إلا أن هذا لا ينفي أن الثورات انطلقت سلمية. وبينما قامت الأطراف الخارجية ببعض المحاولات لاستغلال العديد من الثغرات والمشكلات، وحاولت السعي وراء مصالحها الخاصة، إلا أن المنطقة قدمت الفرصة لذلك من خلال ما أشار إليه عالم الاجتماع والمفكر الجزائري مالك بن نبي، حيث دعا إلى ضرورة محاسبة ما قام بتسميته "القابلية للاستعمار".

جمع الكتاب بين دفتيه أربعة فصول، شمل الفصل الأول منها رؤية مفكرين وسياسيين بارزين لظاهرة الثورات العربية وتفاعلها مع قضايا وديناميكيات مختلفة كما أشرنا إليه آنفًا، بينما تناول الفصل الثاني الثورات والجهات الدولية الفاعلة، مثل الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي والصين وروسيا.

وكان من المهمّ أن يتناول الفصل الثالث الثورات والجهات الإقليمية، مثل تركيا وإيران و"إسرائيل" ودول الخليج.

أما الفصل الرابع فقد تناول تجارب الربيع العربي واحدة تلو الأخرى، من تونس، مرورًا بمصر وسوريا وليبيا، وصولًا إلى اليمن.

وبشكل عام، يمكن القول: إن حصيلة الربيع العربي خلال عَقده الأوّل توزّعت بين تجربة تطوّرت إلى حرب أهلية، وتجربة تحوّلت إلى صراع إقليمي، وتجربة انقلبت إلى حكم عسكري، وتجربة اختلطت فيها نتائج ومسارات بقية التجارب.

وقد ناقش هذه التجاربَ أكاديميون شُهودٌ على هذه الثورات، ينتمون إلى شعوبها- من خلال تحليلات رصينة، وتقييم لمسار هذه الثورات خلال 10 سنوات.

يتميز هذا الكتاب أيضًا بأنه نُشر باللغتين العربية والتركية، وبمشاركة نخبة من الكَتّاب والسياسيين العرب والأتراك، ليوثّق رؤية خبراء وسياسيين تجاه حالة تفاعلية، على أمل الإسهام في رؤية ناضجة وواعية لظاهرة الثورات العربية، وطريقها في تحقيق قيم سامية، مثل العدالة الاجتماعية والحكم الرشيد، في ظلّ حاجة الثورات إلى تحصين في جملة من المسارات، كما يشير إليه المشاركون في بحوث الكتاب، منها: مسار التحصين المؤسّسي من خلال استكمال مؤسسات النظام الديمقراطي، ومسار التحصين الاجتماعي من خلال محاربة الفقر والفساد وخلق فرص العمل وتخفيف الأعباء عن المواطنين، ومسار التحصين من الثورات المضادة، ومسار التحصين من (الشعبوية)... مع الحاجة إلى صياغة مشروعات وطنية جامعة تُحدِث عملية التوازن اللازمة.